

العنوان : من النص الورقي إلى الفضاء الرقمي: أثر الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز في تعليم اللغات الأجنبية والأدب في العالم العربي

الباحثة : الدكتورة مطمر خلود / جامعة محمد بن أحمد وهران 2 - الجزائر

المقدمة :

يشهد العالم المعاصر تحولات جذرية في أنماط إنتاج المعرفة وتداولها، بفعل الثورة الرقمية التي أعادت تشكيل مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وفي مقدمتها المجال التربوي. فقد انتقلت المجتمعات، تدريجياً، من نموذج معرفي تقليدي قائم على الكتاب الورقي، والتلقي الخطي، والتمركز حول المعلم، إلى نموذج معرفي جديد يقوم على الرقمنة، التفاعل، التعلم المستمر، والانفتاح على وسائط متعددة تُعيد تعريف العلاقة بين المتعلم والمعرفة. وفي هذا السياق العالمي المتحول، لم يعد التعليم مجرد عملية نقل للمعارف، بل أضحت فضاءً ديناميكياً لبناء الخبرة، وتنمية الكفايات، وتشكيل الوعي النقدي.

وفي العالم العربي، اكتسب هذا التحول الرقمي أبعاداً خاصة، إذ تزامن مع تحديات تربوية وثقافية عميقة، من بينها أزمة المناهج، وضعف مخرجات التعليم، واتساع الفجوة بين المؤسسة التعليمية والتحولات الاجتماعية والتكنولوجية المتسارعة. وقد دفعت هذه التحديات العديد من الأنظمة التعليمية العربية إلى إعادة النظر في سياساتها البيداغوجية، والسعي إلى إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضمن استراتيجيات الإصلاح التربوي، بوصفها أداة لتحديث التعليم وتحسين جودته. غير أن هذا الإدماج لم يكن دائماً نتاج رؤية تربوية متكاملة، بل جاء في كثير من الأحيان استجابة ظرفية لضغوط العولمة والمعايير الدولية.

يُعد تعليم اللغات الأجنبية والأدب من أكثر الحقول المعرفية تأثراً بهذه التحولات الرقمية، نظراً لما يحمله من أبعاد لغوية، ثقافية، رمزية، وإنسانية متداخلة. فاللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي وعاء للفكر، ووسيط للثقافة، وأداة لبناء الهوية. كما أن الأدب لا يُختزل في كونه نصاً للقراءة، بل هو ممارسة ثقافية وجمالية تعبّر عن الذاكرة الجماعية، وتُعيد تمثيل التجربة الإنسانية في أبعادها المختلفة. ومن ثمّ، فإن أي تحول في طرائق تعليم اللغة والأدب يمسّ بالضرورة تصوّرنا للمعرفة، وللذات، وللعلاقة بالآخر.

في ظل النماذج التعليمية التقليدية، غالباً ما اقتصر تعليم اللغات الأجنبية على تلقين القواعد النحوية وحفظ المفردات، في حين اختزل تدريس الأدب في تحليل شكلي أو تاريخي للنصوص، بعيداً عن التجربة الجمالية والتأويلية العميقة. وقد أسهم هذا النمط من التعليم في خلق فجوة بين المتعلم والنص، وأضعف دافعيته، وجعل من القراءة فعلاً مدرسياً مفروضاً لا تجربة ثقافية حيّة. ومع بروز الوسائط الرقمية، بدأت تتشكل إمكانات جديدة لتجاوز هذه الإشكالات، من خلال إعادة بناء العلاقة بين المتعلم والنص داخل فضاءات تعليمية تفاعلية.

في هذا الإطار، برز كلٌّ من الذكاء الاصطناعي والواقع المعزّز باعتبارهما من أبرز التقنيات التي أعادت رسم ملامح التعليم المعاصر. فالذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة تقنية، بل أصبح منظومة ذكية قادرة على تحليل البيانات التعليمية، وتخصيص مسارات التعلم، وتقديم تغذية راجعة فورية، بما يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين. وقد أتاح ذلك إمكانات غير مسبوقة في تعليم اللغات الأجنبية، خاصة فيما يتعلق بتنمية مهارات الاستماع، المحادثة، والكتابة، من خلال التفاعل المستمر مع أنظمة ذكية تحاكي الاستعمال الحقيقي للغة.

أما الواقع المعزّز، فيمثل نقلة نوعية في تدريس الأدب، إذ يسمح بدمج النصوص الأدبية مع عناصر بصرية، صوتية، وتفاعلية، تحوّل القراءة من فعل ذهني مجرد إلى تجربة تعليمية غامرة. ومن خلال إسقاط النص في فضاءات رقمية ثلاثية الأبعاد، يصبح المتعلم قادراً على استكشاف السياق التاريخي والثقافي للنص، وتتبع الصور الشعرية، وفهم الرموز والدلالات في علاقتها بالفضاء البصري والفني. وهكذا، يُعاد تقديم الأدب لا بوصفه مادة جامدة، بل كخطاب حيّ يتفاعل مع المتعلم ويستثير حواسه وخياله.

غير أن هذا التحول الرقمي، على ما يحمله من وعود تربوية، يطرح في السياق العربي جملة من الإشكالات المعقّدة. فمن جهة، تسعى المؤسسات التعليمية إلى مواكبة التطورات العالمية، وتبني نماذج التعليم الذكي، وتحديث مناهجها بما ينسجم مع متطلبات اقتصاد المعرفة. ومن جهة أخرى، تبرز مخاوف حقيقية من هيمنة البعد التقني على البعد الإنساني، ومن اختزال العملية التعليمية في تفاعل آلي يفرغ النص الأدبي من عمقه الجمالي والرمزي. كما يُثار تساؤل جوهري حول دور المعلم في ظل هذه البيئات الذكية: هل يصبح مجرد ميسّر تقني، أم يظل فاعلاً أساسياً في بناء المعنى وتوجيه الفعل التعليمي؟

وانطلاقاً من هذه التوترات، تتمحور الإشكالية المركزية لهذه الدراسة حول التساؤل الآتي:
إلى أي مدى يساهم دمج الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز في تطوير تعليم اللغات الأجنبية والأدب في
العالم العربي، دون المساس بالبعد الإنساني، الثقافي، والنقدي للتعلم؟

يتفرّع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية التي تسعى الدراسة إلى معالجتها، من بينها:

- ما أثر توظيف الذكاء الاصطناعي على تنمية الكفاءة اللغوية لدى المتعلمين؟
- كيف تساهم البيئات التعليمية الغامرة في إعادة تشكيل علاقة الطالب بالنص الأدبي؟
- ما طبيعة التحوّل الذي يطرأ على دور المعلم في ظل التعليم الذكي؟

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر إدماج الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز في تعليم اللغات
الأجنبية والأدب داخل مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي، والكشف عن إمكاناتهما في تعزيز
التفاعل، وتنمية الدافعية الذاتية، وتطوير مهارات التفكير النقدي والتأويلي لدى المتعلمين. كما تسعى إلى
اقتراح مقاربة بيداغوجية متوازنة، تجعل من التكنولوجيا أداة داعمة للفعل التربوي، لا بديلاً عن الدور
الإنساني والثقافي للمعلم.

تنطلق الدراسة من فرضية رئيسة مفادها أن الدمج البيداغوجي المنظم للذكاء الاصطناعي
والواقع المعزز يؤدي إلى تحسين ملحوظ في الكفاءة اللغوية، وتعميق الفهم الأدبي، وتنمية التفكير النقدي
لدى المتعلمين، شريطة أن يتم هذا الدمج ضمن إطار تربوي إنساني، يضع المعلم في موقع الموجه
والمصمّم للخبرة التعليمية. كما تفترض الدراسة أن البيئات التعليمية الغامرة تتيح بناء علاقة جديدة مع
النص الأدبي، قائمة على التفاعل، والتأويل، والربط بين النص وسياقاته الثقافية والفنية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تستجيب لحاجة ملحة في الحقل التربوي العربي، تتمثل في
ضرورة تجديد تعليم اللغات الأجنبية والأدب بما ينسجم مع التحولات الرقمية العالمية، دون التفريط في
الخصوصية الثقافية والبعد الإنساني للتعلم. كما تسعى إلى الإسهام في سد فجوة بحثية قائمة، تتمثل في
محدودية الدراسات العربية التي تناولت بصورة تكاملية أثر الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز في
تدريس اللغة والأدب ضمن إطار بيداغوجي نقدي وإنساني.

◀ التحوّل الرقمي وإعادة تشكيل النموذج المعرفي في التعليم:

لم يعد التحوّل الرقمي في التعليم مجرد نتيجة طبيعية للتقدّم التقني، بل أصبح تعبيرًا عن تحوّل أعمق يمسّ البنية المعرفية التي تقوم عليها العملية التعليمية ذاتها. فمع الانتقال من المجتمعات الصناعية إلى مجتمعات المعرفة، تغيّرت طبيعة إنتاج المعرفة وتداولها، وانتقل مركز الثقل من الكتاب الورقي بوصفه المصدر الأوحّد للمعرفة، إلى فضاءات رقمية مفتوحة تتسم بالتعدد، والتشابك، والسرعة. وقد انعكس هذا التحوّل على مفهوم التعلّم، الذي لم يعد يُفهم باعتباره فعلًا خطيًا قائمًا على الاستقبال والحفظ، بل أصبح عملية بنائية معقّدة، تتداخل فيها التجربة، والتفاعل، وإعادة بناء المعنى داخل سياقات رقمية متغيرة.

في النموذج التعليمي التقليدي، كانت المعرفة تُقدّم بوصفها محتوى جاهزًا ومستقرًا، يُنقل من المعلّم إلى المتعلّم في مسار أحادي الاتجاه، تحكمه سلطة الكتاب والمقرر الدراسي. غير أن هذا التصوّر بدأ يتصدّع مع بروز الوسائط الرقمية التي ألغت احتكار المعرفة، وفتحت المجال أمام مصادر متعددة ومتنوعة، لم يعد المتعلّم يتلقاها بصورة سلبية، بل أصبح يتفاعل معها، ينتقيها، ويعيد تنظيمها وفق حاجاته واهتماماته. وهكذا، لم يعد التعلّم فعل تلقّي، بل ممارسة معرفية قائمة على الاختيار، والتجريب، وبناء المسارات الفردية للتعلّم.

وقد أسهم هذا التحوّل في زعزعة الخطية التي ميّزت النصّ الورقي، لصالح نمط جديد من القراءة يقوم على التشعب والترابط. فالنصّ الرقمي لا يُقرأ من البداية إلى النهاية وفق مسار واحد، بل يُستكشف عبر روابط ومسارات متعددة، ما يُنتج أشكالًا جديدة من الفهم والتأويل. وهذا ما يفرض إعادة التفكير في الكيفية التي تُدرّس بها اللغات الأجنبية والأدب، إذ لم يعد المتعلّم يتعامل مع النصّ بوصفه بنية مغلقة، بل كفضاء مفتوح للتفاعل الدلالي والثقافي، تُبنى فيه المعاني عبر التنقل بين النصوص، والصور، والسياقات.

في هذا الإطار، تحوّل دور المتعلّم تحوّلًا جذريًا، إذ لم يعد متلقّيًا سلبيًا للمعلومة، بل فاعلًا معرفيًا يشارك في إنتاج المعرفة، ويطوّر استراتيجياته الخاصة في التعلّم. ويعكس هذا التحوّل انتقال التعليم من منطق "نقل المعرفة" إلى منطق "بناء الكفاءة"، حيث تُقاس قيمة التعلّم بقدرة المتعلّم على الفهم، والتأويل، والتطبيق، لا بمجرد استظهار المحتوى. ومن ثمّ، أصبحت الكفاءة الرقمية، والقدرة على التفكير النقدي، والتعلّم الذاتي من الركائز الأساسية للتعليم المعاصر.

غير أن هذا التحول الرقمي، على أهميته، لا يخلو من إشكالات، خاصة في السياق العربي، حيث يتقاطع مع أنظمة تعليمية لا تزال، في كثير من الأحيان، أسيرة نماذج تقليدية في التدريس والتقييم. فإدخال التكنولوجيا إلى الصفوف الدراسية دون إعادة النظر في الفلسفة التربوية قد يؤدي إلى إعادة إنتاج الممارسات القديمة بأدوات جديدة، دون تحقيق تحول حقيقي في طبيعة التعلم. ومن هنا، تبرز ضرورة التمييز بين الرقمنة الشكلية للتعليم، والتحول الرقمي العميق الذي يمسّ البنية المعرفية والبيداغوجية للعملية التعليمية.

كما يطرح التحول الرقمي سؤالاً جوهرياً حول العلاقة بين المعرفة والتقنية، وحول ما إذا كانت التكنولوجيا ستظل أداة في خدمة الفعل التربوي، أم ستتحول إلى سلطة جديدة تُعيد تشكيل أنماط التفكير والتعلم بصورة غير واعية. ففي غياب إطار بيداغوجي نقدي، قد يؤدي الإفراط في الاعتماد على الوسائط الرقمية إلى تسطيح المعرفة، وتغليب السرعة على العمق، والاستهلاك على التأمل. ومن ثمّ، فإن الرهان الحقيقي للتحول الرقمي لا يكمن في التكنولوجيا ذاتها، بل في القدرة على توظيفها ضمن رؤية تربوية إنسانية تُعيد الاعتبار للفهم العميق، والتفكير النقدي، وبناء المعنى.

في سياق تعليم اللغات الأجنبية والأدب، يكتسي هذا التحول المعرفي أهمية خاصة، إذ تتطلب هذه المجالات مقاربة تعليمية تراعي البعد الثقافي والإنساني للغة والنص. فالتعليم الرقمي، حين يُوظف بوعي، يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة للتفاعل مع اللغة بوصفها ممارسة اجتماعية وثقافية، ومع الأدب بوصفه خطاباً جمالياً متعدد المستويات. أما إذا اقتصر على الاستخدام الأداة للتكنولوجيا، فإنه قد يُفرغ النص من عمقه، ويختزل التعلم في تفاعل تقني سطحي.

وعليه، يمكن القول، بأن التحول الرقمي في التعليم يشكّل لحظة مفصلية تفرض إعادة بناء النموذج المعرفي الذي يحكم تعليم اللغات الأجنبية والأدب في العالم العربي. وهو تحول لا يمكن أن يتحقق بصورة ناجعة إلا إذا اقترن بوعي بيداغوجي نقدي، يجعل من المتعلم محور العملية التعليمية، ومن المعلم فاعلاً أساسياً في توجيه التعلم، ومن التكنولوجيا وسيلة لدعم الفهم العميق، لا غاية في حد ذاتها. ويُعد هذا الإطار النظري مدخلاً ضرورياً لفهم الأدوار التي يمكن أن يضطلع بها الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز في تجديد الممارسات التعليمية، وهو ما سيتم التطرّق إليه في المباحث اللاحقة.

◀ تعليم اللغات الأجنبية في ضوء التحول الرقمي – أبعاد نظرية موسعة مع أمثلة تطبيقية

1. اللغة كأداة اجتماعية في الفضاء الرقمي

لقد تجاوزت اللغة في العصر الرقمي دورها التقليدي كوسيلة لنقل المعلومات، لتصبح ممارسة اجتماعية متعددة المستويات، تتفاعل مع بنى رقمية معقدة. ومن منظور اللسانيات الاجتماعية، لم تعد اللغة مجرد نظام من القواعد والرموز، بل هي شبكة من العلامات التي تكتسب معناها من خلال التفاعل مع الآخرين ضمن سياقات رقمية متغيرة، تشمل المنتديات التعليمية، الشبكات الاجتماعية، والمدونات التفاعلية، فعلى سبيل المثال، أظهرت دراسة حول استخدام تطبيقات الواقع المعزز في تعليم المفردات في اللغات الأجنبية أن التفاعل مع المحتوى الرقمي الغني بصور ونصوص متعددة الحواس يزيد من فعالية التعلم اللغوي ويعزز استرجاع المفردات بشكل أسرع مقارنة بالطرق التقليدية. (Burston, 2020)

هذا التوجه يفرض إعادة التفكير في طبيعة الكفاءات اللغوية، حيث لم تعد مهارات القراءة والكتابة التقليدية كافية، بل أصبحت القدرة على التنقل بين السياقات الرقمية وفهم أشكال التعبير الجديدة عنصراً جوهرياً في تعلم اللغة.

2. التداولية الرقمية: إنتاج المعنى والتفاعل

من منظور التداولية، يركز التعلم الرقمي على القدرة على إنتاج المعنى وفهمه ضمن سياقات تواصلية محددة. في الفضاء الرقمي، تتغير الديناميكيات التقليدية للتواصل، فتظهر أشكال متعددة من التفاعل تشمل النصوص المكتوبة، المحادثات الصوتية، الفيديوهات، الرموز التعبيرية، وحتى الصور المتحركة. دراسة حديثة حول استخدام منصات التواصل التفاعلية في تعلم الإنجليزية بين طلبة الجامعات أظهرت أن المشاركة في منتديات نقاشية ومجموعات تفاعلية افتراضية تعزز قدرة المتعلمين على بناء المعنى جماعياً، وتطور مهاراتهم في التفاعل التداولي الرقمي. (Kic-Drgas, 2024)

تصبح هذه البيئات الرقمية منصات لإعادة إنتاج المعرفة بشكل تشاركي، بحيث يتحول المتعلم من متلقٍ سلبي إلى فاعل نشط يشارك في إنتاج المعنى ضمن شبكات تواصلية متعددة الأصوات والمستويات.

3. الأبنستمولوجيا الرقمية: المعرفة وتشكيل الذات المعرفية

الأبنستمولوجيا الرقمية تهتم بكيفية إنتاج المعرفة وتداولها في البيئات الرقمية. تعلم اللغات الأجنبية اليوم لا يقتصر على حفظ المفردات والقواعد، بل يشمل تطوير قدرة المتعلم على الوصول إلى مصادر معرفية متنوعة، تقييم موثوقيتها، وإعادة إنتاج المعرفة بطريقة نقدية وإبداعية. على سبيل المثال، أظهرت أبحاث حول استخدام منصات تعليمية ذكية مدعومة بالذكاء الاصطناعي أن التكيف الفردي للمحتوى التعليمي وفق مستوى المتعلم وتحليل أدائه يتيح تطوير مهارات التعلم الذاتي وتنظيم المعرفة، فالفضاء الرقمي يوفر ثروة من الموارد، من مقالات أكاديمية ومصادر تفاعلية إلى منصات تعليمية ذكية، ما يحول المتعلم إلى فاعل معرفي قادر على استخدام المعلومات الرقمية لتعزيز كفاءته اللغوية وبناء فهم عميق للثقافة المستهدفة. (Chen & Lv, 2020)

4. التكامل النظري: نحو رؤية شمولية

من خلال دمج الأبعاد الثلاثة، يمكن النظر إلى تعلم اللغات الأجنبية في العصر الرقمي كعملية معرفية-تواصلية-اجتماعية متعددة المستويات. اللسانيات توفر الإطار لفهم بنية اللغة وآليات تطورها، التداولية تقدم أدوات لفهم ديناميات التفاعل وإنتاج المعنى، بينما الأبنستمولوجيا الرقمية تمكن المتعلم من التعامل النقدي مع المعرفة واستثمارها في تحسين المهارات اللغوية. هذا التكامل يتيح تصميم ممارسات تعليمية مبتكرة تقوم على التفاعل النشط، الاستكشاف النقدي، واكتساب القدرة على التكيف مع التحولات الرقمية المتسارعة، معتمدة على أدوات وتقنيات تعليمية حديثة مثل الواقع المعزز، التطبيقات التفاعلية، والمنصات الذكية، ما يجعل تجربة تعلم اللغة تجربة معرفية شاملة ومتعددة الأبعاد.

➤ تدريس الأدب في البيئات الرقمية والواقع المعزز - رؤية فلسفية وتطبيقات حديثة

1. الأدب الرقمي كفضاء معرفي وجمالي

لقد أحدث التحول الرقمي في المجتمع الحديث تغييراً جوهرياً في تصورنا للأدب، فالنصوص لم تعد مقيدة بالورق والحبر، بل أصبحت كيانات متحركة داخل فضاءات رقمية متعددة الوسائط، تشمل النصوص المكتوبة، الصور، الصوتيات، وحتى عناصر الفيديو والرسوم المتحركة. يشير مصطلح الأدب الرقمي إلى تلك الإنتاجات الأدبية التي تستفيد من إمكانيات الحوسبة الرقمية، سواء في الكتابة أو القراءة أو التلقي، لتقديم تجربة معرفية غنية ومتنوعة. في هذا السياق، يصبح المتعلم ليس مجرد مستهلك

للنص، بل فاعلاً مشاركاً في إنتاج المعنى، من خلال التفاعل مع النصوص التي تتيح له الفرصة لإعادة ترتيبها، تحليلها، وربطها بخبراته الثقافية والشخصية.

تشير الدراسات الحديثة إلى أن دمج الأدب الرقمي في التعليم الجامعي لا يقتصر على الجانب التقني، بل يمتد ليشمل البعد الجمالي والمعرفي للنص، حيث يتمكن المتعلم من تجربة القراءة في مستويات متعددة، تتجاوز السرد الخطي التقليدي لتصبح قراءة نقدية، تفاعلية، واستكشافية. هذه التجربة المتعددة المسارات تعزز القدرة على التأمل النقدي والتفاعل الجمالي مع النصوص، بما يجعلها أكثر قدرة على تشكيل وعي معرفي وجمالي متكامل لدى المتعلم. (Bordeleau, 2021)

في السياق العربي، تؤكد الدراسات أن دمج الأدب الرقمي في المناهج التعليمية يفتح آفاقاً جديدة للتفاعل القرائي، ويمنح المتعلم الفرصة للمشاركة في تجارب تعليمية مبتكرة تعتمد على التفاعل السمعي والبصري واللمسي للنصوص، ما يعزز الجانب الإبداعي لدى المتعلم ويشجعه على الانخراط الفعّال في العملية التعليمية (حسن، 2022).

2. الواقع المعزز كأداة لتحويل النص الأدبي إلى تجربة غامرة

يمثل الواقع المعزز (Augmented Reality) نقلة نوعية في تعليم الأدب، إذ يمكن تحويل النصوص من مجرد محتوى ثابت إلى مساحة تفاعلية غنية بالمعرفة والحس الفني. الواقع المعزز يضيف إلى البيئة الواقعية طبقات رقمية من المعلومات والتجارب، ما يسمح للمتلم بأن يرى النصوص، يسمعها، ويتفاعل معها في سياقات متعددة. هذه التجربة لا تعزز الفهم فقط، بل تُنشّط الحس النقدي والإبداعي لدى المتعلم، حيث يصبح قادراً على استكشاف الرموز الأدبية وربطها بالبيئة المحيطة وتجربة التأويل الشخصي للنصوص.

توضح الأمثلة التطبيقية مثل المشروع الأدبي التجريبي «Between Page and Screen» كيف يمكن دمج النصوص الشعرية أو القصصية مع رموز QR وروابط رقمية ليصبح النص حياً ومتفاعلاً مع القارئ. عند قراءة النص، يمكن للقارئ الوصول إلى ملفات صوتية، مقاطع فيديو، أو رسوم متحركة تكمل النص، مما يخلق تجربة قراءة ديناميكية تجمع بين التحليل النقدي والاستمتاع الجمالي. هذه الفعالية توضح أن الواقع المعزز لا يقتصر على الجانب الترفيهي، بل يساهم في تعميق فهم النصوص وإثراء الخبرة القرائية. (Bacca, 2014)

3. التطبيقات التعليمية للأدب الرقمي والواقع المعزز

في بيئات التعليم المعاصر، بدأت المبادرات التعليمية في استثمار الأدوات الرقمية والواقع المعزز لتعزيز التعلم الأدبي. يمكن تلخيص أبرز هذه التطبيقات فيما يلي:

- **الكتب التفاعلية المعززة:** حيث يتم إدراج طبقات متعددة من الوسائط (صور، أصوات، رسوم متحركة) داخل النصوص القصصية أو الشعرية، لخلق تجربة قراءة غنية ومشوقة للمتعلمين، خصوصًا المتعلمين الناشئين أو متعلمي اللغة الأجنبية. (Azuma, 2017) هذه الطبقات تعزز القدرة على تفسير النصوص وربطها بسياقات معرفية متنوعة، كما تزيد من التفاعل الذاتي للمتعلم مع النص.

- **ورش العمل التعليمية للمعلمين:** تتيح للمعلمين تعلم طرق دمج الواقع المعزز في المناهج الأدبية، مثل إنشاء كتب معززة تفاعليًا أو تصميم أنشطة تربط بين النصوص والأبعاد السمعية والبصرية (Zhou,2020). هذا التدريب يرفع من جودة التدريس ويشجع على ابتكار أدوات تعليمية جديدة تدعم التفكير النقدي والإبداعي.

- **المشاريع الرقمية التفاعلية:** تشمل إنشاء سرديات رقمية تدمج النصوص الأدبية بالصور، الصوت، والفيديو، ما يسمح للمتعلمين بإعادة إنتاج المعنى بشكل شخصي، وتحويل تجربة القراءة إلى رحلة معرفية وتجريبية غنية. تشير الدراسات إلى أن هذه الأنشطة المعززة يمكن أن تكون أكثر فاعلية من الأساليب التقليدية في تطوير مهارات التحليل الأدبي والتفكير النقدي (Link & Springer,2025)

توضح هذه التطبيقات أن الأدب الرقمي والواقع المعزز لا يقتصران على تحويل النص إلى محتوى متعدد الوسائط، بل يفتحان أمام المتعلم مساحة للتفاعل النشط، التفسير النقدي، وبناء المعنى بشكل شخصي، ما يعزز التعلم المعرفي والجمالي في الوقت ذاته.

4. الأبعاد المعرفية والجمالية في تعليم الأدب الرقمي

يخلق دمج الأدوات الرقمية والواقع المعزز تحولًا نوعيًا في علاقة المتعلم بالنص الأدبي. لم تعد القراءة مجرد فعل صامت أو عملية تحليلية محدودة، بل أصبحت تجربة غامرة تتفاعل فيها الحواس مع المعرفة، والتحليل مع الإحساس الجمالي. المتعلم في هذه البيئة يصبح فاعلاً معرفياً وجماليًا، قادرًا على إعادة إنتاج النص وتفسيره وربطه بخبراته الشخصية والثقافية.

يمكن القول إن هذه العملية تعيد تعريف القراءة والتلقي الأدبي على أنها تجربة ديناميكية متعدد الأبعاد، تجمع بين الإدراك الحسي، التحليل النقدي، والتفاعل الرقمي. كما أنها تتوافق مع فلسفة التعليم الحديث التي ترى المعرفة نتاجاً لتفاعل متبادل بين المتعلم، النص، والبيئة التعليمية، ما يجعل الأدب الرقمي والواقع المعزز أداة تعليمية استراتيجية تعزز المهارات النقدية والجمالية والإبداعية للمتعلمين.

توظيف أدوات الواقع المعزز في تدريس الشعر: تجربة Pocket Gallery

يُعد Pocket Gallery إحدى أدوات منصة Google Arts & Culture التي تمكن المتعلمين من التجوّل في معارض افتراضية ثلاثية الأبعاد عبر الهاتف أو الحاسوب أو باستخدام تقنية الواقع المعزز. ويمكن للمدرّس من خلال هذه الأداة رفع نصوص، صور، لوحات، أو مجسمات وتحويلها إلى معرض تفاعلي يمنح الطالب تجربة شبيهة بالتجوّل في متحف مصغر، ما يفتح آفاقاً جديدة للتفاعل مع النص الشعري. تاريخياً، كان الشعر يُقرأ كنص لغوي يعتمد على الإيقاع والدلالة، لكن إدماجه في فضاء ثلاثي الأبعاد يحوّلّه إلى نص بصري-حركي، حيث يمتلك الطالب زاوية رؤية ومسار تنقل خاصاً، فيصبح بذلك متجوّلاً ومؤوّلاً مشاركاً في بناء المعنى.

يتيح Pocket Gallery تحويل القصيدة إلى فضاء بصري حيث تُوزّع الأبيات على جدران المعرض مثل اللوحات الفنية، ما يعزز فهم البنية الإيقاعية، التفكك الدلالي، وحركة الصور الشعرية، ويتيح للطلاب المشي داخل القصيدة بدلاً من قراءتها خطياً. كما يتيح المعرض التعرف على العلاقة بين الصورة الشعرية والصورة البصرية المرافقة، واستخدام الألوان والإضاءة والمسافات كوسائط معنوية إضافية، ما يسهّل إدراك بنية القصيدة من خلال عرض البحر الشعري، الحقول الدلالية، والرموز في مناطق مخصصة، ليصبح المعرض خريطة مفهومية ثلاثية الأبعاد.

كما يدعم المعرض التعلّم الذاتي والاكتشاف من خلال السماح للطلاب بإعادة ترتيب مسار المشاهدة والتركيز على الأبيات التي تثير اهتمامهم، ويقرب بين الشعر والفنون الأخرى عبر عرض لوحات متصلة بالرموز الشعرية، محققاً تدريبات بين-فنية. من الناحية التربوية، يساهم استخدام Pocket Gallery في تحسين التذوق الجمالي، تفعيل التعلم النشط، معالجة صعوبة الشعر لدى المتعلمين، ملائمة أنماط التعلم المختلفة، ودعم الابتكار والإبداع، حيث يمكن للطلاب إعادة إخراج القصيدة بإضافة الموسيقى، المؤثرات الصوتية، والخلفيات.

يمكن تطبيق هذه الأداة عملياً داخل الفصل عبر تحليل قصائد نزار قباني أو الشعر الجاهلي في معارض افتراضية تحاكي فضاء النص، أو من خلال ورش تصميم المعارض الشعرية الخاصة بالطلاب، ما ينمي مهارات التحليل الأدبي، القراءة العميقة، التفكير النقدي، ومهارات القرن الحادي والعشرين مثل الإبداع والتواصل والتعاون والتعامل مع الوسائط الرقمية. ومع ذلك، تتطلب هذه التجربة وقتاً وجهداً، وقد يواجه بعض الطلاب صعوبات تقنية، وهي ليست بديلاً عن التحليل النصي بل وسيلة داعمة له.

◀ حدود واستعمال التحول الرقمي في تعلم اللغات – معوقات وأبعاد أخلاقية

على الرغم من الفوائد الكبيرة للتحول الرقمي في تعلم اللغات الأجنبية، يظل هذا التحول محكوماً بمجموعة من المعوقات والحدود التي قد تعيق فعالية التعلم أو تؤثر على التجربة التعليمية. هذه المعوقات تتراوح بين البنية التحتية الرقمية، الكفاءات التقنية للمتعلمين والمعلمين، إلى الجوانب النفسية والاجتماعية. كما يطرح التحول الرقمي أسئلة أخلاقية حول الخصوصية، الملكية الفكرية، والممارسات التربوية المسؤولة، مما يستلزم وضع أطر معيارية وأخلاقية واضحة لضمان تعلم لغوي فعال ومسؤول.

1. المعوقات التقنية والبنية التحتية

تعتبر البنية التحتية الرقمية واحدة من أبرز المعوقات التي تحد من استفادة المتعلمين من الأدوات الرقمية، وتشمل:

- نقص الأجهزة أو ضعف الشبكات: عدم توفر حواسيب، أجهزة لوحية، أو اتصال إنترنت مستقر قد يعيق الوصول إلى المصادر الرقمية.
- تنوع المنصات وصعوبة تكاملها: اختلاف بيئات التعلم الرقمية وعدم تكاملها يجعل من الصعب على المعلم والمتعلم متابعة الأنشطة بشكل سلس.
- التحديث المستمر والتقنيات الجديدة: اعتماد منصات تعليمية حديثة دون تدريب كافٍ قد يؤدي إلى مقاومة التغيير أو ضعف الاستفادة من الميزات الرقمية.

هذه المعوقات التقنية تؤكد أن التحول الرقمي لا يضمن النجاح التعليمي تلقائياً، بل يحتاج إلى تخطيط استراتيجي وتدريب مستمر للمتعلمين والمعلمين. (Chen & Lv, 2020)

2. المعوقات النفسية والاجتماعية

تشير الدراسات إلى أن التحول الرقمي يطرح أيضاً تحديات نفسية واجتماعية:

- الإرهاق الرقمي: الإفراط في استخدام الوسائط الرقمية قد يؤدي إلى ضعف التركيز والإجهاد البصري والمعرفي.
 - تفاوت المهارات الرقمية بين المتعلمين: بعض المتعلمين قد يفتقرون إلى الكفاءة التقنية اللازمة للتفاعل مع أدوات التعلم، مما يزيد فجوة التعلم الرقمية.
 - العزلة الاجتماعية: الاعتماد المفرط على التفاعل الرقمي قد يقلل من التفاعل الوجيه، مما يؤثر على تعلم اللغة من منظور التواصل الطبيعي والاجتماعي.
- هذه العوامل تؤكد الحاجة إلى دمج التعلم الرقمي بوعي تربوي يوازن بين التفاعل الرقمي والتواصل الواقعي.

3. الأبعاد الأخلاقية في التعلم الرقمي للغات

إلى جانب المعوقات التقنية والاجتماعية، يثير التحول الرقمي قضايا أخلاقية مهمة تتعلق بممارسات التعلم والاستخدام المسؤول للأدوات الرقمية:

- الخصوصية وحماية البيانات الشخصية: يجب التأكد من أن منصات التعلم الرقمية تحمي بيانات المتعلمين من الوصول غير المصرح به أو الاستغلال التجاري.
- الملكية الفكرية والأدبية: مشاركة الموارد الرقمية يجب أن تراعي حقوق المؤلفين وعدم الانتحال، خصوصاً عند استخدام محتوى تفاعلي أو نصوص أدبية رقمية.
- العدالة في الوصول للموارد: يجب توفير فرص متساوية لجميع المتعلمين للوصول إلى الأجهزة والموارد الرقمية، لتجنب فجوة تعليمية رقمية.
- المسؤولية المهنية للمعلمين: على المعلمين توجيه المتعلمين نحو استخدام الأدوات الرقمية بطريقة أخلاقية، وتعزيز التفكير النقدي حول المحتوى الرقمي.

يمكن النظر إلى هذه المبادئ الأخلاقية كجزء من إطار مسؤولية رقمية يضمن أن يكون التحول الرقمي وسيلة لتعزيز التعلم وليس مصدرًا للمخاطر أو الانحرافات السلوكية.

4. مقترحات للتغلب على المعوقات

لتجاوز المعوقات وضمان استخدام التحول الرقمي بفاعلية وأخلاقية، يمكن اعتماد الاستراتيجيات التالية:

- تطوير البنية التحتية الرقمية وتدريب المعلمين على استخدام أدوات التعلم التفاعلية.
- دمج التعلم الرقمي والتعلم الوجهي لخلق توازن بين الفائدة التقنية والتواصل الاجتماعي.
- تبني سياسات واضحة لحماية الخصوصية والملكية الفكرية في بيئات التعلم الرقمية.
- تصميم أنشطة تعليمية شاملة تراعي اختلاف مستويات المهارات الرقمية بين المتعلمين، وتضمن مشاركة متساوية وفاعلية.

هذه الاستراتيجيات تؤكد أن التحول الرقمي ليس هدفاً في حد ذاته، بل وسيلة لتعزيز تعلم اللغة بشكل أخلاقي، مسؤول، وفعال.

الخاتمة :

يتضح من خلال هذا البحث أن التحول الرقمي لم يعد مجرد أداة مساعدة في التعليم، بل أصبح عاملاً جوهرياً يعيد تشكيل ممارسات تعلم اللغات الأجنبية وتدرّيس الأدب في السياق المعاصر. فإن تعلم اللغات في البيئة الرقمية أصبح عملية تواصلية واجتماعية متعددة المستويات، حيث لم تعد الكفاءات اللغوية تقتصر على قواعد اللغة والمفردات، بل تشمل القدرة على التفاعل. مع الوسائط الرقمية، إنتاج المعنى ضمن سياقات متنوعة، وتوظيف المعرفة بطريقة نقدية وإبداعية، وقد أبرزت الأبعاد التداولية والأبستمولوجية الرقمية أن المتعلم اليوم يصبح فاعلاً معرفياً نشطاً قادراً على استكشاف النصوص وفهمها في بيئات متعددة الأصوات والمسارات.

هذا البحث قد أوضح أن تدرّيس الأدب في البيئات الرقمية والواقع المعزّز يمثل نقلة نوعية في التعليم الأدبي، إذ يتيح تحويل النصوص إلى فضاءات معرفية وجمالية تفاعلية، تعزز التفكير النقدي، الإبداع، والانغماس الحسي للتعلم. الأدب الرقمي والواقع المعزّز يمنحان المتعلم القدرة على إعادة إنتاج النصوص وتفسيرها ضمن تجارب شخصية متعددة الأبعاد، ما يجعل القراءة عملية ديناميكية، تجمع بين الإدراك الحسي، التحليل النقدي، والاستجابة الإبداعية.

على الرغم من هذه الإمكانيات، كشفنا عن معوقات التحول الرقمي وحدوده، سواء على مستوى البنية التحتية التقنية، الفروق الفردية في الكفاءة الرقمية، أو الضغوط النفسية والاجتماعية التي قد تؤثر على تعلم اللغة. كما أبرز أهمية الأبعاد الأخلاقية في التعلم الرقمي، بما يشمل حماية الخصوصية، احترام

الملكية الفكرية، وضمان العدالة في الوصول إلى الموارد الرقمية. ويؤكد هذا المبحث أن التحول الرقمي مسؤولية مشتركة بين المتعلمين والمعلمين والمؤسسات التعليمية، ويحتاج إلى استراتيجيات واضحة توازن بين الفعالية التعليمية والأخلاقيات التربوية.

إن الدمج المتكامل بين الأدوات الرقمية، الواقع المعزز، والمناهج التفاعلية يتيح للمتعلمين تجربة تعليمية شاملة، تجمع بين الكفاءات اللغوية، المهارات الجمالية، والقدرة على التفكير النقدي والإبداعي. كما يعزز هذا النهج من التعلم الذاتي، التفاعل الاجتماعي الرقمي، والاستكشاف المعرفي، مما يجعل المتعلم محور العملية التعليمية ويؤكد على الطبيعة التشاركية للمعرفة في العصر الرقمي.

ختاماً، يمكن القول أن التحول الرقمي، عند توظيفه بوعي ومراعاة المعايير الأخلاقية، يحوّل التعليم إلى فضاء ديناميكي متعدد الأبعاد، حيث تتلاقى اللغة، الأدب، التقنية، والمعرفة في تجربة تعليمية متكاملة. ومن هذا المنطلق، يمثل البحث دعوة لتطوير سياسات تعليمية شاملة، تهدف إلى تعزيز الكفاءات اللغوية والجمالية للمتعلمين، وإعدادهم لمواجهة تحديات العصر الرقمي بمسؤولية وإبداع.

المراجع

المراجع العربية

- أبو زيد، نصر حامد (2005). إشكاليات القراءة وآليات التأويل. المركز الثقافي العربي.
- إسماعيل، عبد الله (2021). التحول الرقمي في التعليم الجامعي العربي: الفرص والتحديات. مجلة التربية المعاصرة.
- بن حمودة، عبد الكريم (2019). الرقمنة والتعليم: نحو نموذج بيداغوجي جديد. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- بن شعبان، فاطمة (2022). الأدب الرقمي وتحولات التلقي: مقارنة تعليمية. مجلة الآداب واللغات.
- بوغاشيش، محمد (2021). تعليم اللغات الأجنبية في ظل الوسائط الرقمية. دار الهدى.
- حسن، محمد (2022). الأدب الرقمي في السياق العربي: المفاهيم والتطبيقات التعليمية. مجلة النقد الأدبي.
- شلبي، عبد المجيد (2019). القراءة الرقمية وإعادة تشكيل العلاقة مع النص. مجلة فصول.
- عبد الرحمن، هناء (2021). الواقع المعزز في التعليم: دراسة في الأبعاد البيداغوجية. مجلة التعليم والتكنولوجيا.
- علي، حسين (2023). أخلاقيات التعلم الرقمي وحماية المتعلم. مجلة دراسات تربوية عربية.
- الزاوي، عبد السلام (2018). التعليم الإلكتروني وإشكالية الجودة في الوطن العربي. مجلة التربية.

المراجع الأجنبية <

- Azuma, R. T. (2017). A survey of augmented reality. Presence: Teleoperators and Virtual Environments.

<https://doi.org/10.1162/pres.1997.6.4.355>

- Bacca, J., Baldiris, S., Fabregat, R., Graf, S., & Kinshuk. (2014). Augmented reality trends in education: A systematic review. Educational Technology & Society.
- Bordeleau, A. (2021). Digital literature and multimodal reading practices in higher education. Digital Humanities Quarterly.
- Burston, J. (2020). MALL revisited: Current trends and future directions. Computer Assisted Language Learning.

<https://doi.org/10.1080/09588221.2019.1595754>

- Chen, X., & Lv, J. (2020). Personalized learning paths in intelligent language learning systems. International Journal of Artificial Intelligence in Education. <https://doi.org/10.1007/s40593-020-00207-2>
- Gee, J. P. (2015). Social linguistics and literacies: Ideology in discourses (5th ed.). Routledge.
- Kic-Drgas, J., & Kılıçkaya, F. (2024). Digital pragmatics and online interaction in EFL learning environments. Journal of Language and Technology.
- Link, S., & Springer, S. (2025). Interactive digital storytelling and critical thinking in literature education. Journal of Educational Multimedia and Hypermedia.
- Rosenblatt, L. M. (1995). Literature as exploration (5th ed.). Modern Language Association.
- Zhou, Y., Dede, C., & Huang, R. (2020). Teacher professional development for augmented reality integration. Computers & Education. <https://doi.org/10.1016/j.compedu.2020.103846>